

# الشَّيْطَانُ

## عناصر الموضوع

١٣٨ مفهوم الشيطان

١٣٩ الشيطان في الاستعمال القرآني

١٤٠ الألفاظ ذات الصلة

١٤٢ خلق الشيطان

١٤٦ الشيطان والأنبياء

١٥٧ عداوة الشيطان للإنسان

١٦٦ وسائل الحفظ من الشيطان

١٧٥ عاقبة الشيطان في الدنيا والآخرة

مفهوم الشيطان

أولاً: المعنى اللغوي:

اختلف أهل اللغة في اشتقاق لفظ الشيطان على رأيين: الرأي الأول: أن النون في لفظ الشيطان أصلية، وهو من مادة (شطن)، وهي تدل على البعد، ونوى شطون، أي: بعيدة، ويقال: بثر شطون، أي: بعيدة القعر، وشطن عنه: بُعد، وأشطنه: أبعد<sup>(١)</sup>، وسمي الشيطان بذلك؛ لبعده عن أمر ربه، وعن الحق وتمرده، فهو بعيد عن الخير، ويبعد عن طباع البشر، وعلى ذلك فكل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب شيطان.

وقيل: الشطن: هو الحبل الطويل الشديد الفتل، والجمع أشطان، وشطته إذا شدته بالحبل<sup>(٢)</sup>، والشيطان على وزن فيعال، ووجه تسميته بذلك؛ لأنه يوقع الإنسان بحباله الطويلة، أو أنه طاله في الشر.

وقال ابن السكت: «الشطن مصدر شطنه يشطنه، إذا خالفه عن نيته ووجهه»<sup>(٣)</sup>. الرأي الثاني: ذهب آخرون من أهل اللّغة: إلى أن النون في لفظ الشيطان زائدة، واشتقاقه من شاط يشيط وتشيط، وشاط الشيء شيطاً وشياطة وشيطوطة: احترق، وشاطت القدر شيطاً احترقت، وشاط الرجل إذا لفحته النار فأثرت فيه، وهلك واحترق<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى يتناسب مع الشيطان، فالشيطان يحترق ويهلك إذا سمع صوت الحق، وذكر ابن كثير أن من العلماء من صحح الرأيين مع قولهم بأن الأول أصح<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لفظ الشيطان قد يراد به إبليس خاصة، كما في قصة آدم وإبليس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦]. وقد يراد بالشيطان كل شرير مفسد داع للغي والفساد من الجن والإنس، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

- (١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ١٨٤، لسان العرب، ابن منظور ١٣/ ٢٣٧.
- (٢) انظر: العين، الفراهيدي ٦/ ٢٣٦.
- (٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١١/ ٢١٣، الصحاح، الجوهري ٥/ ٢١٤٤.
- (٤) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد ٢/ ٨٦٧، تهذيب اللغة، الأزهرى ١١/ ٢١٤.
- (٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ١١٥.

## الشیطان فی الاستعمال القرآنی

وردت مادة (شطن) فی القرآن الکریم (۸۸) مرة<sup>(۱)</sup>.  
والصیغ التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصیغة
﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ۳۶]	۷۰	الاسم (مفردًا)
﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ۱۰۲]	۱۸	الاسم (جمعًا)

وجاءت كلمة (الشیطان) فی الاستعمال القرآنی بمعناها اللغوي، وهو: المتمرد الطاغی من الجن والإنس والدواب<sup>(۲)</sup>.

(۱) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الکریم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ۳۸۲-۳۸۳.

(۲) انظر: نزهة الأعین النواظر، ابن الجوزي ص ۳۷۴، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ۲/ ۲۷۱، تفسير القرآن العظیم، ابن کثیر ۷/ ۲۰.

الألفاظ ذات الصلة

١ إبليس:

إبليس لغةً:

إبليس لعنه الله مشتق من «بلس»، وبلس من رحمة الله، أي: يئس وندم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢].

وسمي إبليس بذلك؛ لأنه يئس من رحمة الله، وأبلس الرجل: سكت، لذلك يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته: قد أبلس، فالمبلس الساكت من الخوف أو الحزن، والإبلاس الحيرة، وسمي إبليس بهذا الاسم؛ لأنه لما أيس من رحمة الله أبلس بأساً<sup>(١)</sup>.

إبليس اصطلاحاً:

يمكن تعريف إبليس تعريفاً وصفيًا بأنه ذلك المخلوق من نار السموم، كان يعبد الله مع جملة الملائكة، فاغتر إبليس بنفسه، فاطلع الله على ذلك في قلبه، فخلق الله آدم من طين، ونفخ فيه، وأمر الملائكة الذين كان إبليس في معيتهم للسجود له، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر بحجة أنه خير منه، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. وطلب من الله أن يمهله إلى يوم الدين؛ كي يغوي آدم وذريته، فلعن وطُرد من السماء، وأصبح عدواً لبني آدم إلى يوم البعث<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين إبليس والشيطان:

أن الشيطان إذا أطلق يراد به إبليس وذريته المخلوقين من النار.

٢ الجن:

الجن لغةً:

«الجن جماعة ولد الجان، وجمعهم: الجِنَّةُ، والجان، وإنما سمو جنًّا؛ لأنهم استجنوا عن الناس، فلا يُرون، والجان هو أبو الجن خلق من نار، ثم خلق منه نسله»<sup>(٣)</sup>، فالجان واحد الجن، وهو من الاجتنان، أي: التستر والاختفاء، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٣٠٠، لسان العرب، ابن منظور ٦/ ٢٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ١٢٨.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهرى ١٠/ ٢٦٥.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٢٤٤.

### الجن اصطلاحًا:

يمكن التعريف بالجن على «أنهم نوع من الأرواح العاقلة، المريدة، المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، مجردون عن المادة، مستترون عن الحواس، لا يُرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل، ويأكلون، ويشربون، ويتناكحون، ولهم ذرية، محاسبون على أعمالهم في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

### الصلة بين الشيطان والجن:

أن الشيطان هو الشرير من الجن؛ ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرًا شيطان، ولا يقال: جني؛ لأن قولك: شيطان يفيد الشر ولا يفيد ذلك: جني، وإنما يفيد الاستتار؛ ولهذا يقال على الإطلاق: لعن الله الشيطان، ولا يقال: لعن الله الجني، والجني اسم الجنس والشيطان صفة<sup>(٢)</sup>.

### ٣ الطاغوت:

#### الطاغوت لغة:

مشتق من «طغو» و«طغي»، وهو مجاوزة الحد في العصيان، وطغى البحر: هاجت أمواجه، وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان فهو «طاغ»، «وأطغيته» جعلته «طاغيًا»، والطاغية: صيحة العذاب البغي والكفر، والطاغوت: الكهنة والشياطين، والطاغوت كل رأس في الضلال، كما ويطلق على الأصنام، والطاغوت يكون من الجن والإنس<sup>(٣)</sup>.

#### الطاغوت اصطلاحًا:

أصل الجذر يدل على مجاوزة الحد، ونجد أن الطاغوت يحتل مرتبة هي أعلى من مجرد كونه متمردًا أو عاتيًا، كما هو حال الشيطان، بل هو في مرتبة تصل إلى قمة الكفر والطغيان، بحيث يجترئ على خصائص ألوهية الله سبحانه، حيث يدعو البشر لعبادته من دون الله، فالطاغوت هو كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده، إنسا كان ذلك المعبود أو جائئًا<sup>(٤)</sup>.

### الصلة بين الشيطان والطاغوت:

صلة عموم وخصوص، فالشيطان صورة من صور الطاغوت.

(١) الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية، ٨ / ٣٣٠.

(٢) الفروق اللغوية، العسكري ص ٣٠٧.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣ / ٤١٢، لسان العرب، ابن منظور ٨ / ١٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١ / ٣١٢.

## خلق الشيطان

تحدث القرآن الكريم عن خلق الشيطان والغاية من خلقه وتمرده -لعنه الله- وخروجه الطاعة، وهذا ما سنتناوله بالبيان فيما يأتي:

### أولاً: خلق الشيطان:

تقرر مما سبق أن الشيطان إذا أطلق فيراد به إبليس خاصة، واختلف علماء التفسير في إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن إلى رأيين:

الرأي الأول: إنه كان من الملائكة، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب<sup>(٢)</sup>، وابن جرير الطبري<sup>(٣)</sup>.

وقال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين؛ لأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

فلولا أنه من الملائكة، لما توجه الأمر إليه بالسجود، ولو لم يتوجه الأمر بالسجود، لم يكن عاصياً، ولما استحق الخزي والنكال<sup>(٤)</sup>.

الرأي الثاني: إنه كان من الجن، ولم يكن

من الملائكة، قاله الحسن وقتادة، واختاره الزمخشري<sup>(٥)</sup>.

مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من نار، والملائكة من نور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، ورد الزمخشري على المستدلين بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

فالأمر كان للملائكة خاصة، وإنما شمله الأمر، لأنه كان في صحبتهم، وكان يعبد الله معهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له، كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع<sup>(٦)</sup>.

وجمهور العلماء على القول الأول، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة<sup>(٧)</sup>.

والصواب التفصيل في هذه المسألة، فإبليس كان من الملائكة بصورته، وكان يعبد الله معهم، وليس منهم بمادته وأصله؛ فأصله من نار، وأصل الملائكة من نور، فمن اعتبره من الملائكة فعلى كونه كان في صحبتهم في العبادة، ومن اعتبره من الجن

(١) انظر: الدر المنثور، السيوطي ٧٨/٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٢٤/١.

(٣) انظر: جامع البيان ٥٠٨/١.

(٤) انظر: معالم التنزيل ١٠٤/١.

(٥) انظر: الكشاف ١٢٧/١.

(٦) انظر: المصدر السابق.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٤٢٨/٢.

## الشيطان

وطبيعة خلق الشيطان أنه لا يرى، كما تُقرره الآيات الكريمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

يقول الزحيلي: «احذروا إبليس، فإنه هو وجنوده من الجن يرونكم وأنتم لا ترونهم، والضرر الناجم من العدو الذي لا يرى أخطر من العدو الظاهر المرئي»<sup>(٥)</sup>.

ومما جُبل عليه الشيطان خاصة دون سائر الجن، قبح صورته، والتي تحمل في مضمونها قبح أفعاله، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين، لما عُلِمَ من قبح صورهم وأشكالهم.

يقول تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].

وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، وثبت في السنة أن الشيطان له قرنان.

فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحيئوا بصلاتكم

(٥) التفسير المنير ٨/ ١٧٠.

فعلى أصل خلقه<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار، سموا: جنا؛ لاستتارهم عن الأعين، فأبليس كان منهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨].

وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية<sup>(٢)</sup>.

وبعد التفصيل السابق يمكن الخروج بخلاصة القول، وهو أن أصل خلق إبليس من نار، كما تقرر ذلك الآيات.

قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

قال ابن عباس في قوله: ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ الحارة التي تقتل، وقال ابن مسعود: ﴿السَّمُومِ﴾ التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم<sup>(٣)</sup>.

ويدلل على ذلك أيضاً ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ٣٤٦.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي ١/ ١٠٤.

(٣) انظر: الدر المنثور، السيوطي ١/ ١٢٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب في أحاديث متفرقة، ٤/ ٢٢٩٤، رقم ٢٩٩٦.

طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان<sup>(١)</sup>.

### ثانيًا: الغاية من خلق الشيطان:

خلق الله عز وجل الشيطان لحكم وفوائد قد تظهر للإنسان، وقد يخفى عنه بعضها، لكنه لم يخلق شيئًا عبثًا، تعالى عن ذلك سبحانه علوًا كثيرًا، فما الحكمة من خلق إبليس؟

تحدث العلماء في ذلك كثيرًا، وقد أجاد الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك في كتابه، فذكر من الحكم والفوائد من خلق إبليس وجنوده<sup>(٢)</sup>:

أولًا: أن يكمل للأنبياء والمؤمنين والصالحين مراتب العبودية، وذلك بمجاهدة عدو الله وحزبه -الشيطان وذريته- وإغاظة أوليائه، والاستعاذة بالله منه، والالتجاء إليه أن يعيدهم من شره وكيده.

ثانيًا: خوف الملائكة والمؤمنين والصالحين من ذنوبهم، وذلك بعدما شاهدوا ما آل إليه حال إبليس، وما شاهده من سقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية، فالملائكة لما شاهدوا ذلك زاد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣/ ١١٩٣، رقم ٣٠٩٩.

(٢) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتنزيل ١/ ٢٣٧.

خوفهم وخضوعهم لله عز وجل، ففي ذلك زيادة حرص وخوف وتذلل لخالق الكون.

ثالثًا: ابتلاء واختبار، فالغاية من خلق إبليس أن يمتحن الله به العباد، فيكون ابتلاءً، واختبارًا، وامتحانًا، فمن تبعه فيكون معه، ومن اتخذه عدوًا كما أمر الله دخل الجنة، فهذه من أهم الحكم؛ ليميز الخبيث من الطيب، ويجازي كلًّا بعمله، بعد أن بين لهم الطريق الصواب.

رابعًا: أراد الله عز وجل من خلقه لإبليس أن يجعله عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصر على معصيته، فكما جعل آدم أبا البشر عبرة لمن ارتكب نهيته أو عصى أمره، ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، جعل هذا الأب -إبليس أبي الجن- عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه.

خامسًا: من الواضح أن خلق الضدين من كمال حسن ضده، فالضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل.

سادسًا: أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب أنواع العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تحقق بالجهاد وبذل النفس لله تعالى، وتقديم محبته على كل ما سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية

ثالثاً: تمرد الشیطان وخروجه عن الطاعة:

خلق الله إبليس وهو أكبر الشیاطین، وكان یعبد الله مع جملة الملائكة، وكان یعلم الله یخفي نزعة التمرد، والقرآن یقصر لنا کیف كانت بداية معصية الشیطان، فقد بین الله عز وجل الغاية من الخلق، فقال في كتابه العزیز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاریات: ۵۶].

فإن من مظاهر عبادة الله طاعة أوامره، ومخالفة أوامر الله تعالی هي المعصية والفسوق، وهي الطریق إلى الكفر والعیاذ بالله، ومن هنا فإن العبادة هي طاعة المخلوق لأوامر خالقه، وإبليس عصی أوامر الله، أما کیف بدأ إبليس معصيته لله.

فقد بین ذلك في القرآن الکریم، فیقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ۳۴].

فكان بداية كفر إبليس، إذ رفض طاعة الله عز وجل، ورفض السجود لآدم، فكانت بداية التمرد والمعصية، وكان سبب رفضه السجود لآدم عليه السلام هو الاستكبار، وقد صرح اللعين بهذا المعنى، فقال تعالی على لسانه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ۱۲].

وقال أيضاً: ﴿هَٰذَا اسْجُدْ لِمَن خَلَقْتَ طِينًا﴾

بمجاهدة النفس، وطاعة الله عز وجل. سابقاً: إن في خلق من يعادي رسل الله، ويكذبهم، من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه.

ثامناً: إن المادة التي خلق منها إبليس عليه لعنة الله عز وجل هي المادة النارية، وهذه المادة فيها الإحراق والعلو والفساد، كما وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا، وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج ذلك منها كله حكمة باهرة، وقدرة قاهرة، وآية دالة على أنه ليس كمثل شئء، وهو السميع البصير.

تاسعاً: إن خلق إبليس فيه من الدلالة الواضحة على حلمه، وصبره، وأناته، وسعة رحمته، وجوده، فاقتضى ذلك كله خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، وهو بالمقابل يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه، ويعاقبه، ويمكن له من أسباب ما يتلذذ به من أصناف النعم، ويظهر بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته، فله الحمد على حلمه وصبره.

الشيطان والأنبياء

ذكر القرآن الكريم موقف الشيطان من الأنبياء عليهم السلام، موقفه من آدم عليه السلام، وموقفه من يوسف عليه السلام، وموقفه من أيوب عليه السلام، وموقفه من موسى عليه السلام، وموقفه من الرسول الكريم عليه السلام.

أولاً: موقف الشيطان من آدم وحواء:

خلق الله عز وجل آدم، وكرمه، ورفع من شأنه، وأمر الملائكة بعد خلقه بالسجود له، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

تعظيماً وتشريفاً له، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى استكباراً منه على آدم عليه السلام، فسأله الله عز وجل عن سبب امتناعه عن السجود.

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فقال الله عز وجل له: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

أي: من الجنة<sup>(٢)</sup>، فطرد لعنه الله من الجنة، وكان هذا سبباً لكراهية إبليس لآدم

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٤٢٨.

[الإسراء: ٦١].

لذلك عاقب الله عز وجل إبليس على تمرده وعصيانه بالهبوط من ملكوت السموات إلى دركات الأرض.

يقول تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

أي: اهبط من الجنة، فليس لك أن تستكبر فيها عن طاعتي وأمري، قال الزجاج: إن إبليس طلب التكبر، فابتلاه الله تعالى بالذلة والصغار<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٤/٢١٠.

الکریم: ﴿قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ  
الْخَلْدِ وَمَلَكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ۱۲۰].

فرغبه إبليس في دوام الراحة بقوله:  
﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخَلْدِ﴾ وفي انتظام  
المعيشة بقوله: ﴿وَمَلَكٍ لَّا يَبْلَى﴾، فكان  
الشيء الذي رغب الله آدم فيه هو الذي رغبه  
إبليس فيه، إلا أن الله تعالى وقف ذلك على  
الاحتراس عن تلك الشجرة وإبليس وقفه  
على الإقدام عليها<sup>(۱)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ  
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ  
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسَفَّرٌ مِّنْهُ إِلَىٰ حِينٍ﴾  
[البقرة: ۳۶].

قرأها الجماعة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي:  
استزلهما، وأغواهما، وهو من قولك:  
زل في دينه إذا أخطأ، وعلى قراءة حمزة  
﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾<sup>(۲)</sup>: نحاها، أي: بمعنى الزوال  
عن المكان، والخروج منه<sup>(۳)</sup>.

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَوَسْوَسَ  
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ  
سَوَاءٍ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ  
إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:  
۲۰].

وقول الحق سبحانه وتعالى «وسوس»

(۱) انظر: لباب التأويل، الخازن ۳/ ۲۱۴.

(۲) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري  
۲/ ۲۱۱.

(۳) انظر: الدر المنثور، السيوطي ۱/ ۱۳۰.

وذريته، وعداوته لهم، فتوعد إبليس آدم  
وذريته من بعده بالعداوة والإغواء، كي  
تكون نهايتهم كنهايته جهنم، وبئس المصير،  
فقال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ  
عَلَيَّ لَئِن أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَخْتَنِكَ  
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ۶۲].

وأمر الله عز وجل آدم وزوجه حواء  
أن يسكنا الجنة، كما جاء في قوله تعالى:  
﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا  
مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ  
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ۳۵].

وبين سبحانه الميزات التي سيحصل  
عليها آدم عليه السلام، فقال جل جلاله:  
﴿إِنَّ لَكَ الْأَجْرَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ۱۱۸].

ففي الجنة طعام يكفيك، وكساء يسترک،  
وماء تجده دائماً، لا يصيبك ظمأ، وليس  
فيها تعب، وكل ما فيها مباح لك عدا شجرة  
واحدة، لا تقترب منها، ولا تأكل ثمارها،  
كما وحذر سبحانه وتعالى وحذر حواء  
من عدوهما إبليس، فقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا  
يَتَّادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَا  
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَسْفَىٰ﴾ [طه: ۱۱۷].

وقتها استغل الشيطان هذا الأمر في  
الانتقام من آدم عليه السلام، وكانت بداية  
معصية آدم، فالشيطان حين أراد أن يغوي  
آدم وحواء بأن يأكلا من الشجرة، وأن يعصيا  
الله عز وجل، قال لآدم كما يروي لنا القرآن

قام بإغواء آدم وحواء، ولم تقم حواء بإغواء آدم على المعصية، فالغواية جاءت من الشيطان للثنتين معاً<sup>(٣)</sup>.

ولكن كيف استطاع الشيطان أن يخرج آدم وحواء من الجنة مع علم آدم بعداوة إبليس له قبل إغوائه، لعل السبب يرجع إلى أن إبليس لقي آدم مراراً وتكراراً، ورغبه في الأكل من الشجرة بطرق كثيرة، وبالتكرار والمواظبة على الطلب أثر كلامه على آدم عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وحلف لهما كما يروي القرآن الكريم:  
﴿وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِحٌ﴾  
[الأعراف: ٢١].

أي: أقسم لهما أنه يريد لهما النصح، وصدقا القسم، وصدقا الشيطان في أنه يريد لهما الخير، ولذلك عاتب الله سبحانه وتعالى آدم وحواء بأنهما صدقا قسم إبليس، مع أنه جل جلاله قد بين لهما أن إبليس عدو لهما لا يريد لهما الخير، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْتُمَا رَجِيمًا أَلَمْ أَنْتَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾  
[الأعراف: ٢٢].

ويذلك استطاع إبليس أن يقنع آدم أن الله قد منعه من الأكل من الشجرة؛ لأنه لا يريد له الخير، وذلك حتى نفطن إلى طريق  
(٣) انظر: عداوة الشيطان للإنسان، الشعراوي ٢٧/١.  
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢١٨/١٤.

يدل على أن الحديث دار همسا بصوت خافت، والوسوسة إغراء بارتكاب الشر، والذي يتحدث ويأمر بالخير لا يهمه أن يكون حديثه بصوت عال، ولكن الحديث في الشر والغواية لا تتم إلا همسا بصوت خافت<sup>(١)</sup>.

واختلف في كيفية وسوسة الشيطان لآدم، فإبليس طرد من الجنة، وآدم داخل الجنة، فكيف وسوس إليه وهو خارج الجنة؟ وأجيب عن ذلك بعدة أمور منها:

١. كان إبليس يوسوس لآدم عليه السلام من الأرض إلى السماء وإلى الجنة بالقوة الفوقية التي جعلها الله تعالى له.  
٢. أن آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة، وكان إبليس واقفاً من خارج الجنة على بابها، فيقرب أحدهما من الآخر، وتحصل الوسوسة هناك<sup>(٢)</sup>.

وهناك العديد من الروايات التي قد يتبادر إلى الذهن منها أن حواء هي من أغوت آدم، لكن الله عز وجل برأ حواء من هذه التهمة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾.

فالشيطان هو الذي زين المعصية لآدم كما زينها لحواء، أي: أن الشيطان هو الذي

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي ٢٧٥/٥، فتح القدير، الشوكاني ١٩٤/٢.  
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢١٧/١٤، لباب التأويل، الخازن ٣٨/١.

## الشیطان

مرض نفسي خطير- والذي يدفعهم عليه الشیطان، الذي يحرك النفوس الضعيفة، ويوغر الصدور، ويشعل نار العداوة والبغضاء بين الإخوة والأحبة، فعداوة الشیطان ظاهرة واضحة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء، فلا يألوا جهداً في إثارة الفتن بينهم حتى يحملهم على الكيد<sup>(٢)</sup>، لذلك أمر يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عليه السلام أن يكتنم رؤياه عن أخوته؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي من الله عز وجل، فلا يحدثهم بها، وعلل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

فكان يوسف عليه السلام استغرب أن يصدر ذلك عن إخوته الناشئين في بيت النبوة، فبين له أنه ما حذره إلا من نزغ الشیطان في نفوس أخوته<sup>(٣)</sup>، الذي قال عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إن الشیطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً)<sup>(٤)</sup>. وقد حدث ما خشيه يعقوب عليه السلام، فتآمر الإخوة على يوسف، وكادوا يتفقون

إبليس في الغواية، فلا خير في خير يؤدي إلى النار والمعصية، ولا شر في شر يؤدي إلى رضوان الله والجنة.

ثانياً: موقف الشیطان من يوسف عليه السلام:

الشیطان هو مدبر الفتن والمفاسد، كان له حضور واضح في مسيرة الأنبياء، ومن هؤلاء الأنبياء الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف عليه السلام، وقد ذكر الشیطان في قصة يوسف عليه السلام ثلاث مرات:

أولاً: كان دور الشیطان في بداية قصة يوسف عليه السلام بارزاً، يرويه لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقْصُصُ رُءُيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

فقد فهم يعقوب عليه السلام من رؤيا<sup>(١)</sup> ابنه الصغير يوسف عليه السلام أنه سيكون له شأن عظيم في كبره، وأن الله عز وجل سيصطفيه للرسالة، ويميزه على إخوته، فخاف عليه من حسد إخوته -والحسد هو

(١) وقد جاء في القرآن الكريم أن يوسف رأى في منامه أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر، فسجدوا له، وقال أهل التفسير أن النجوم في التأويل إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً، والشمس أبوه، والقمر أمه، وقيل: خالته؛ لأن أمه كانت قد توفيت. انظر: لباب التأويل، الخازن ٥١١/٢.

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١٥٥/٣، مدارك التنزيل، النسفي ٩٥/٢.  
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٥٣/٤، لباب التأويل، الخازن ٥١٢/٢، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١٤/١٢.  
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ٥٠/٣، رقم ٢٠٣٨.

نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقه.

فكان تفسير يوسف عليه السلام للأول: بأنه يخرج من السجن، ويكون ساقى الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزاً فإنه يُضَلَب ويترك، وتأكل الطير من رأسه<sup>(١)</sup>.

ويأتي الأمل لسيدنا يوسف عليه السلام، بعدما فسر لأحد السجينين أنه سيكون مقرباً من الملك، فأوصاه بتذكيره بحاله وما حدث له، وعلمه بالرؤيا، لعله يفرج عنه، هنا يتدخل الشيطان مرة أخرى محاولاً الكيد بسيدنا يوسف، والبقاء به في السجن.

قال تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

أي: أن الشيطان أنسى الساقى تذكير سيده بأمر يوسف عليه السلام، فبقي في السجن مظلوماً منسياً<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن المعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه وهو الله عز وجل، فعاقبه الله تعالى بإبقائه في السجن بضع سنين، فهو استحق هذا العقاب؛ لأنه توسل إلى

على قتله؛ لتزول العقبة بينهم وبين أبيهم، ثم قرروا العدول عن قتله والاكتفاء بإبعاده.

قال المولى عز وجل: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَفَعْنَاكَ يٰ يُوسُفُ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠].

وهكذا كانت الغلبة لداعي الشر، وهي الخطوة الأولى في المخطط الشيطاني في إبعاد النبي يوسف عليه السلام، والانحراف به، والهجوم عليه بوساوس الشيطان لعنه الله.

ثم يوضع الفتى المبتلى يوسف عليه السلام في البئر بعد أن أجمعوا على التخلص منه، ثم يساق إلى سوق العبيد، ليستقر كعبد في قصر رئيس وزراء مصر، ويمر في محن عظام، من أبرزها إغراء امرأة العزيز، وكيد النسوة، ليوضع بعدها في السجن ظلماً وبهتاناً على الرغم من ثبوت عفته وبراءته.

ثانياً: يوضع سيدنا يوسف عليه السلام في السجن، وقد أوتي من العلم بتفسير الرؤيا ما لم يؤت أحد في زمانه، ودخل السجن مع يوسف فتيان.

قال أحدهما ليوسف عليه السلام: إني رأيت في المنام أني أعصر عبناً ليصير خمراً. وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه.

أخبرنا يا يوسف بتفسير ما رأينا، إنا

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩٤/٩، فتح القدير، الشوكاني ٣/٣٥، صفوة التفاسير، الصابوني ٤٧/٢.

(٢) انظر: المنار، محمد رشيد رضا ٢٥٨/١٢.

يُرْجِعُ سَبَبَ مَحْتَتِهِ الْأُولَى إِلَى الشَّيْطَانِ.

قال تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَيْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

هذا هو الشيطان بحضوره الماكر والذي يبيء بالخسران أمام فتى رباني تقي صابر ممسك بأطراف الإحسان جميعاً ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ثالثاً: موقف الشيطان من أيوب عليه السلام:

لقد كانت حياة الأنبياء دروساً وعبراً لأولي الأبصار، ابتلاهم الله عز وجل بأنواع الشدائد والبلايا، فصبروا على ذلك، فهذا نبي الله أيوب عليه السلام من ذرية يعقوب عليه السلام، اصطفاه الله عز وجل بالنبوة، وآتاه جملة عظيمة من الثروة في الأموال والأولاد، كان شاكراً لأنعم الله، مواسياً عباد الله، بَرَّارِ حَيْمًا، لم يؤمن به سوى ثلاثة نفر<sup>(٤)</sup>.

وقد ابتلي نبي الله أيوب عليه السلام في جسده، وماله، وأهله، وسلم دينه ومعتقده،  
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٥٠٦/٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠٨/١٥.

الملك لإخراجه، ولم يتوكل على الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

لكن الراجح القول الأول، فالناسي هو الناجي من السجن -الساقى- على رأي جمهور المفسرين<sup>(٢)</sup>.

وتدخل الشيطان في عملية النسيان المذكور في أكثر من موضع في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يُسَيِّتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال أيضاً في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

وللإمام الرازي رأي في تسبب الشيطان في النسيان حيث قال: «الشيطان يمكنه إلقاء الوسوسة، وأما النسيان فلا، لأنه عبارة عن إزالة العلم عن القلب، والشيطان لا قدرة له عليه، وإلا لكان قد أزال معرفة الله تعالى عن قلوب بني آدم»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: كانت قصة يوسف عليه السلام مليئة بالمحن والابتلاءات، وكان كيد الشيطان واضحاً في قصته، وعندما يجتمع يوسف عليه السلام بأهله في نهاية القصة

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٣٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٩١، الدر المصون، السمين الحلبي ٦/ ٥٠٠.

(٣) مفاتيح الغيب ١٨/ ٤٦٢.

فقد حصل لأيوب عليه السلام نوعان من المكروه.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

فالله عز وجل يخاطب في هذه الآية نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم قائلًا له: اذكر يا محمد صبر أيوب عليه السلام، فقد ابتلاه الله عز وجل بأنواع البلايا فصبر، فاصبر كما صبر، فقد أصيب أيوب بالنصب والعذاب، فالنصب: هو المشقة والعناء والأمراض، والعذاب: زوال الخيرات وحصول المكروهات بذهاب وهلاك ماله وولده (١).

وقد ظهر ذلك واضحًا من قول نبي الله أيوب عليه السلام، ونسب ما أصابه من بلاء إلى الشيطان، فالشيطان كان له دور في ذلك، ولأهل التفسير في هذا الموضوع قولان:

القول الأول: إن الآلام والأسقام الحاصلة لأيوب عليه السلام إنما حصلت بفعل الشيطان، حيث قيل: إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب ملائكة السموات بالصلاة على أيوب حين ذكر ربه وأثنى عليه، فأدرك إبليس الحسد والبغى، فسأل الله عز وجل أن يسلمه عليه ليفتنه عن دينه، فسلم على ماله دون جسده وعقله، فأذهب الله ماله

كله، فشكر أيوب ربه عز وجل، ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه سبحانه، وقال لله ما أعطى ولله ما أخذ، فسأل إبليس الله عز وجل أن يسلمه على ولده، فأهلك ولده، فشكر أيوب ربه، ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه تعالى.

فسأل إبليس الله أن يسلمه على جسده، فسلم عليه دون لسانه وقلبه وعقله، فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده، فصار أمره إلى أن تناثر لحمه، فثبت أيوب عليه السلام سبع سنين، ولم يصبر عليه أحد إلا امرأته.

فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال: لو أن زوجك استعان بي لخلصته من هذا البلاء، فذكرت المرأة ذلك لزوجها، فحلف بالله: لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة، وقتها قال أيوب عليه السلام: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

فأجاب الله دعاءه، وأوحى إليه أن اركض برجلك، فأظهر الله من تحت رجله عينًا باردة طيبة، فاغتسل منها.

قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢) ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٢-٤٣].

فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله، ورفع الله عنه ما كان به

(١) انظر: تفسير السمرقندي ١٦٩/٣، معالم التنزيل، البغوي ٧٣/٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠٨/٥، مفاتيح الغيب، الرازي ٣٩٦/٢٦.

من بلاء<sup>(١)</sup>.

أَنْ دَعَوْتُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَتُؤْمَرُوا  
أَنْفُسَكُمْ ﴿إبراهيم: ٢٢﴾.

وإنما نسب نبي الله أيوب عليه السلام ما أصابه إلى الشيطان؛ لأنه أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من بلاء، وبغريه على الكراهية والجزع، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بتثيته على الصبر على ما أصاب<sup>(٣)</sup>.

كما أن علة نبي الله أيوب عليه السلام كانت شديدة الألم، ثم طالت مدة تلك العلة، واستقذره الناس، ونفروا عن مجاورته، ولم يبق له شيء من الأموال البتة، وامراته كانت تخدم الناس، وتحصل له القوت، ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول عليهم، ومن الاشتغال بخدمتهم<sup>(٤)</sup>.

والشيطان كان قد تعرض لأهله، ووسوس لهم، وطلب منه أن يشرك بالله، ويذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت، وكان يحاول دفع تلك الوسوس، فلما قويت تلك الوسوس في قلبه خاف وتضرع إلى الله، وقال: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ لأنه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد، فكان يشتكي إلى الله فعل الشيطان، الذي كان

القول الثاني: إن الآلام والأسقام التي حصلت لأيوب عليه السلام إنما حصلت بفعل الله، والعذاب المضاف إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة، وإلقاء الخواطر الفاسدة، فالله عز وجل لا يسلط الشيطان على أنبيائه؛ ليقضي من إعتابهم وتعذيبهم وطره، فالشيطان لا يمكن أن يكون هو من قام بذلك، فلو جاز ذلك لظن بعض الناس أن حصول الموت، والحياة، والصحة، والمرض من الشيطان.

فعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان، ولعل كل ما حصل عندنا من الخيرات والسعادات، فقد حصل بفعل الشيطان، كما أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء؟ ولم لا يخرب دورهم؟ ولم لا يقتل أولادهم؟ وقد جاء في الكتاب العزيز أنه لا سلطان له على عباده إلا بالوسوسة فحسب<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ١٠/٦٢٥٦، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/٥٠٦، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٣٩٦.

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤/٩٧، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٣٩٦، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/٢٠٩.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤/٩٧.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٣٩٧.

أشد عليه من مرضه (١).

السلام:

لقد كان للشيطان دور مع سيدنا موسى عليه السلام توضحه لنا الآيات الكريمة.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ مُوْسَىٰ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ مُوْسَىٰ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوْسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

فيروى أن موسى عليه السلام بعدما بلغ أشده، -أي: من ثلاثين إلى أربعين سنة (٣)-

دخل المدينة التي كان يسكنها فرعون، وهي قرية على رأس فرسخين من مصر، وقال الضحاك: هي عين شمس (٤)، في وقت غفلة أهلها، منتصف النهار وقت القيلولة، وقيل: ما بين المغرب والعشاء (٥).

«وسبب دخول المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون، وكان يركب في مراكب فرعون، ويلبس لباسه، فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً، فلما جاء قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المقيبل بأرض منّف، فدخلها وليس في أطرافها أحد، وقيل: كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه،

والرأي الثاني هو الراجح، على الرغم من ذكر الكثير من أهل التفسير للرأي الأول، وقد رد ابن العربي على من قال به، فما ذكره المفسرون من أن إبليس كان له مكان في السماء السابعة فقول باطل؛ لأنه أهبط منها بلعنة وسخط إلى الأرض، فكيف يرقى إلى محل الرضا، ويجول في مقامات الأنبياء، ويخترق السموات العلى، ويعلو إلى السماء السابعة إلى منازل الأنبياء، فيقف موقف الخليل؟!!

أما أنه طلب من الله أن يسلطه على أيوب عليه السلام فلا يصح؛ لأن الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم من جند إبليس الملعون، فكيف يكلم من تولى إضلالهم؟! وأما قولهم: إن الله قال قد سلطتك على ماله وولده، فذلك ممكن في القدرة، ولكنه بعيد في هذه القصة، وكذلك قولهم: إنه نفخ في جسده حين سلطه عليه، فهو أبعد، والباري سبحانه قادر على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له -لعنة الله عليه- عين بالتمكن من الأنبياء في أموالهم وأهلهم وأنفسهم (٢).

رابعاً: موقف الشيطان من موسى عليه

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١٧٣/٤.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٥٨٤/٢٤.

(٥) انظر: تفسير السمرقندي ٦٠١/٢.

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٥٠٦/٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

٢٠٩/١٥.

## الشیطان

عليه السلام عما جرى على يده، واستغفر ربه، وأخبره الله عز وجل أنه غفر له.

وبعد بيان دور الشيطان في قتل الغلام على يد موسى عليه السلام يتأكد لنا عداوة الشيطان للإنسان بشكل عام، وخاصة الأنبياء؛ لأنهم أصحاب رسالة، فهم ألد أعداء الشياطين، فكلما اقترب العبد من ربه، ابتعد عن الشيطان، وبالتالي زادت العداوة بينهما، والأنبياء هم أقرب الناس مكانة من الله حيث العصمة، والمعجزة، والتأييد، والنصرة.

وقد بين الله تعالى أنه ما من نبي على مر الزمان بعثه الله إلا وكان له من الشياطين زمرة تناصبه العداوة، وتمشي في طريق حربه والكيد له، شياطين من الجن، وشياطين من الإنس، يعملون سويًا على محاربة الحق.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

خامسًا: موقف الشيطان من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

تبين لنا مما سبق موقف الشيطان من هؤلاء الأنبياء، فالشيطان أشد عداوة للأنبياء والرسول؛ لأنهم هم خاصة الله من خلقه، فهم حملة رسالة من الله عز وجل؛ ولقد

ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق، رأى فُراق فرعون وقومه، فخالفهم في دينه، حتى أنكروا ذلك منه، وخافوه، وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفًا مستخفيًا على حين غفلة من أهلها»<sup>(١)</sup>.

فوجد فيها رجلين رجل من شيعته أي: من بني إسرائيل على دينه، ورجل آخر عدوه على غير دينه، يقال: إنه من القبط<sup>(٢)</sup>، وكانوا في حالة صراع، فطلب الرجل الذي من شيعه موسى النصره منه ضد عدوه القبطي، فضربه موسى عليه السلام بكفه ضربة في صدره، فقتله، ولم يتعمد القتل، ثم ندم على قتله، وأرجع ذلك إلى وسوسة الشيطان.

قال القشيري: «فقد تمنى موسى أن لو دفعه عنه بأيسر مما دفعه، ولم ينسب القتل إلى الشيطان، ولكن دفعه عنه بالغلظة نسبه إلى الشيطان بأن حملة على تلك الحدة»<sup>(٣)</sup>.

وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان، وسماه ظلمًا لنفسه واستغفر منه؛ لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل، فكان ذنبًا يستغفر منه، وعن ابن جريج أنه قال: ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر<sup>(٤)</sup>، ثم تاب موسى

(١) لباب التأويل، الخازن ٣/٣٥٩.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ٢/٦٠١، الكشاف،

الزمخشري ٣/٣٩٨.

(٣) لطائف الإشارات ٣/٥٧.

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/٣٩٨، أنوار

التنزيل، البيضاوي ٤/١٧٣.

فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟

قال: تأخذوا من كل قبيلة غلامًا وسطًا شابًا مهديًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن بني هاشم يقدرّون على حرب قريش كلها.

فقال الشيخ النجدي: هذا والله هو الرأي القبول، لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له، فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك في الخروج، وأمرهم بالهجرة<sup>(١)</sup>.

فهذه الراوية تبين عداوة الشيطان -لعنه الله- للرسول صلى الله عليه وسلم. ولقد قرر الله عز وجل في كتابه العزيز أن الشيطان له دور إغواء الرسل.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى الْشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

أي: إلا إذا تمنى زور في نفسه ما يهواه، (١) انظر: الدر المشور، السيوطي ٥٢/٤، فتح القدير، الشوكاني ٣٤٧/٢، التفسير الوسيط، الزحيلي ٧٩١/١.

كان للشيطان موقفه العدائي من الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فقد نزلت هذه الآية في شأن اجتماع قريش في دار الندوة، جاء في كتب التفسير أن نفرًا من قريش ومن أشرف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، واعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضر وأنصحكم، فسمحوا له بالدخول، فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، فوالله ليوشكن أن يواتيكم في أمركم بأمره، فقال أحدهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك، كما هلك من كان قبله من الشعراء، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا، والله ما هذا لكم برأي، فانظروا في غير هذا الرأي، فقال قائل: فأخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه، فإنه إذا خرج لم يضركم ما صنع وأين وقع.

فقال الشيخ النجدي: لا، والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذة القلوب بما تستمع من حديثه. قالوا: صدق والله، فانظروا رأيًا غير هذا،

## عداوة الشیطان للإنسان

حدثنا القرآن الکریم عن عداوة الشیطان وعن وسائله في ذلك، وهذا ما سنبينه فيما يأتي:

### أولاً: عداوة الشیطان للإنسان:

إن عداوة الشیطان للإنسان قديمة قدم الإنسان، منذ خَلَقَ آدم عليه السلام وحتى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة، مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكِنَّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرِّقِينَ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

فالشیطان هو أكبر وأخطر عدو لبني آدم في هذه الحياة؛ لأنه منبع الشرور، والآثام، وهو القائد إلى الهلاك والخسران الدنيوي والأخروي، يدعو الناس إلى الكفر والشرك، وترك التوحيد، ويزين لهم البدع، ويسول لهم بالعصيان وترك أوامر الرحمن.

ولقد أكد الله عز وجل لنا عداوة الشیطان، وأمرنا أن نتخذه عدواً، وبين لنا هدفه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فالشیطان عدو لكم ظاهر العداوة، فعل بأبيكم ما فعل، وأنتم تعاملونه معاملة الحبيب، فاتخذوه عدواً أي: فعادوه، في

ألقي الشیطان في أميته ما يوجب اشتغاله بالدنيا، فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يوسوس، ثم يثبت الله آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة، والله عليم بأحوال الناس، حكيم فيما يفعله بهم<sup>(١)</sup>، أما ما جاء في سبب نزول الآية من حديث الغرائيق فهو مردود عند المفسرين.

ولم يمل الشیطان من محاولة الوسوسة للرسول، وإشغاله عن طاعة ربه، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ عَفْرِيَّتَا مِنْ الْحَجَنِ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَكَّنَنِي مِنْهُ فَدَعَيْتُهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَىٰ جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّىٰ تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ - ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَحِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ أَفْعِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]. فَرَدَّهُ اللَّهُ حَاسِبًا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٧٥/٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشیطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة ١/٣٨٤، رقم ٥١٤.

عقائدكم، وعباداتكم، وفي كل أحوالكم<sup>(١)</sup>.  
وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ  
لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: اتخذوا يا بني  
آدم الشيطان عدواً لكم؛ لأنه لا يدعو أتباعه  
إلى خير أبداً، وإنما يدعوهم إلى الأعمال  
الفاصلة التي تجعلهم يوم القيامة من أهل  
النار<sup>(٢)</sup>.

فالله عز وجل أخبرنا أن الشيطان لنا  
عدو مبين، وقص علينا ما فعل بأبينا آدم عليه  
السلام.

إن الشيطان أظهر لنا عداوته بكل جرأة  
ووقاحة، واستكبار أمام الله عز وجل،  
فأبى السجود لآدم عليه السلام، وعصى  
أمر ربه، وأغوى آدم وحواء حتى أكلتا من  
الشجرة التي نهاهما الله من الاقتراب منها،  
فأخرجهما من النعيم الذي كانا فيه، وتعهد  
بإغواء آدم وذريته، ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ  
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمَسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا آغْوَيْتَنِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي  
الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

﴿وَقَالَ لَا تَجِدَنِي مِنْ عِبَادِكَ فَصِيْبًا  
مَقْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨].

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا  
بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي  
٣٢٣/١٤، البحر المديد، ابن عجيبة  
٥١٨/٤.  
(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٣٢٤/١١.

فإبليس طلب من الله عز وجل أن  
يُنظَرَه إلى يوم القيامة حتى يضل بني آدم،  
ويجعل مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير،  
كما جاء في قوله تعالى على لسان إبليس:  
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٣٦] قَالَ  
فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [٣٧] إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ  
﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا آغْوَيْتَنِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي  
الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٩].

يقول سيد قطب في ظلال القرآن مبيناً  
سبب تحذير الله عز وجل من الشيطان  
عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا  
مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ  
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]:  
«وهنا يبيح الله للناس جميعاً أن يأكلوا مما  
رزقهم في الأرض حلالاً طيباً - إلا ما شرع  
لهم حرمة وهو مبين فيما بعد- وأن يتلقوا  
منه هو الأمر في الحِلِّ والحُرمة، وألا يتبعوا  
الشيطان في شيء من هذا، لأنه عدوهم،  
ومن ثم فهو لا يأمرهم بخير، وإنما يأمرهم  
بالسوء من التصور والفعل، ويأمرهم بأن  
يحللوا ويحرموا من عند أنفسهم، دون أمر  
من الله، مع الزعم بأن هذا الذي يقولون  
هو شريعة الله، والمطلوب هو أن يتلقى  
الناس ما يحل لهم وما يحرم من الجهة التي  
ترزقهم هذا الرزق، لا من إحياء الشيطان  
الذي لا يوحى بخير؛ لأنه عدو للناس بين

والعداوة، لا يأمرهم إلا بالسوء والفحشاء، والتجديف على الله والافتراء عليه دون تثبيت ولا يقين»<sup>(١)</sup>.

ويعاتب الله عز وجل كل من يتبع وساوسه، ويكون من أتباعه وأوليائه، فيقول جل جلاله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسْتَحْذِرُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

لذلك كله ينادي الله عز وجل عباده، وينهاهم عن الافتتان بفتنة الشيطان، فيقول تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا يَفْنَنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]<sup>(٤)</sup>.  
لذلك كله ينادي الله عز وجل عباده، وينهاهم عن الافتتان بفتنة الشيطان، فيقول تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا يَفْنَنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَعْمَارِهِمْ إِنَّهُمُ يُرْجَعُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وينهاهم عن الاستجابة لصد الشيطان، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ٦٢].

والصد هو العدول عن طاعة الله عز وجل فيما أمرنا به، أو نهانا عنه، إن الشيطان لكم عدو يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مُبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة<sup>(٥)</sup>.

وسيلوم الله عز وجل المجرمين يوم القيامة على طاعتهم للشيطان، كما جاء في قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ آخَذُوا بِعَهْدِ رَبِّهِمْ وَبَدَلُوا بِهَا نَفْسَهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال بعض العلماء: وتحت هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول: إنما عادت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم، فكيف يحسن بكم أن توالوه؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه»<sup>(٢)</sup>.

وقال عز وجل مويخاً من اتخذه ولياً من دونه تبارك وتعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ أي: الواضعين للشيء في غير موضعه، وذلك بتركهم طاعة الله عز وجل، وأخذهم مقابل ذلك طاعة إبليس وذريته<sup>(٣)</sup>.

فالشيطان مجبول على عداوة بني آدم، قال ابن عاشور: «وتلك عداوة مودعة في جبلته، كعداوة الكلب للهر؛ لأن جبلة الشيطان موكولة بإيقاع الناس في الفساد

(١) في ظلال القرآن ١/ ١٥٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٥٣٤.

(٣) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٣/ ٢٧٩.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٠.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١/ ٦٣٣.

أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ [يس: ٦٠].

فهذا العهد جاء على السنة الرسل، أو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فقد أوصاهم الله عز وجل بعدم طاعة الشيطان فيما يُوسوس به إليهم، ويُزينه لهم، فكان العهد بعدم طاعة الشيطان، وطاعة الله عز وجل، وفيه إشارة إلى جنائتهم على أنفسهم بعد النصح التام، فلا حجة بعد الإعذار، ولا ظلم بعد التذكير والإنذار<sup>(١)</sup>.

قال الألويسي في تفسير الآية الكريمة: «والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم، عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها، ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل، وجوز أن يراد بها عبادة غير الله تعالى من الآلهة الباطلة، وإضافتها إلى الشيطان؛ لأنه الأمر بها والمزين لها»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: وسائل الشيطان في عداوته للإنسان:

لقد بلغ الشيطان -عليه لعنة الله- مراده من أكثر المخلوق، فاتبعه الأكثرون، وتركوا

(١) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٤/ ٥٧٩.

(٢) روح المعاني ٢٣/ ٤٠.

ما جاء به الرسل من دين الله الذي رضيه لهم، وتلطف الشيطان في السيطرة على الخلق، واتبع الأساليب المتنوعة في الحيل، والمكر، والخديعة، لبلوغ مراده، وأدخل الناس في الشرك بعدما زين لهم أن من أقر لله وحده بالملك، والتدبير، والمخلوق فهو المسلم، ولو دعا غير الله ولاذَّبِحَما.

قال تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ [النمل: ٢٤].

فقد تعددت وسائل الشيطان وأساليبه في تحقيق أهدافه بدافع العداوة والكرهية للإنسان، وتمثلت أهم وسائل الشيطان في عداوته لبني آدم بما يأتي:

١. التضليل.

إن من أهم الوسائل التي يتهجها الشيطان لعنه الله لإغواء بني آدم هو التضليل، قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَّا إِنشَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١٣٧﴾ لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تُخْذَنَ مِن عِبَادِكَ فَصِيبًا مَّقْرُوصًا ﴿١٣٨﴾ وَلَا ضَلَمَنَّهُمْ وَلَا مُبِينَتَهُمْ وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ مَا ذَاتَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلْيَحْبِرْتِ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٧-١١٩﴾ [النساء: ١١٧-١١٩].

والإضلال الصرف عن طريق الهداية إلى

## الشیطان

باب العبادة، فيشغله بالعبادة المفضولة عن الفاضلة، فهذا كله من مداخل الشيطان التي يجب على المسلم أن يحذر منها.

٢. التفرير بالأمانى.

إن من مكائد الشيطان التي يستخدمها لإغواء المؤمن التفرير بطول الأمل، والحياة الدنيا، وتحسين الحرص عليها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا أُصَلِّتَهُمْ وَلَا مِئْتَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ إِذَا تِ الْأَتْمِرُ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَعْرِتْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٣٣﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٩-١٢٠].

قوله: ﴿وَلَا مِئْتَهُمْ﴾، وهو إلقاء الأمانى الباطلة في القلب، بطول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة، أو بإدراك الجنة بالمعاصي، أو بتسويق التوبة وتأخيرها<sup>(٣)</sup>.

«وطلب الأمانى يورث أمرين: الحرص والأمل، والحرص والأمل يستلزمان أكثر الأخلاق الذميمة، وهما كالأمرين اللازمين لجوهر الإنسان، قال صلى الله عليه وسلم: (يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ، وَيَسْبُبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ

طريق الغواية، والمراد به التزيين والوسوسة، بإلقاء الوسوسة في قلوب العباد، وتزيين الشهوات عندهم<sup>(١)</sup>.

والإضلال الذي يتجهجه الشيطان على مراتب، أعلاها: الوصول بالإنسان إلى الكفر بالمخالق عز وجل، وهو أخطر أنواع الإضلال، المؤدي إلى الخلود في جهنم والعياذ بالله.

قال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

فإذا يئس الشيطان من عدم وقوع الإنسان في المرتبة الأولى لجأ إلى إيقاعه في الكبائر والفواحش، فإذا لم يجد سبيلاً إلى ذلك، فنراه يزين ويسهل للإنسان طريق الصغائر، واللمم، ويلبسها لباساً يديها له في منظر المباحات، فإذا لم يستطع فيوقع الإنسان في البدع والضلالات، والتي تعتبر سبباً في حبوط الأعمال، وعدم قبولها، قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد)<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم يسلك الشيطان طريقاً أخرى، فإذا فشل في ذلك، فيدخل للمسلم من

(١) انظر: التفسير المظهر، ٢/٢٣٨، فتح البيان القنوجي ٣/٢٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلموا على صلح جور فالصلح مردود، ٣/١٨٤، رقم ٢٦٩٧.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/٩٨، لباب التأويل، الخازن ١/٣٢٨.

عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمْرِ<sup>(١)</sup>.

والحرص يستلزم ركوب أهوال الدنيا وأهوال الدين، فإنه إذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله إلا بمعصية الله وإيذاء الخلق، وإذا طال أمه نسي الآخرة، وصار غريقاً في الدنيا، فلا يكاد يقدم على التوبة، ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ، فيصير قلبه كالحجارة أو أشد قسوة<sup>(٢)</sup>.

وحذر سبحانه بعد ما بين سبل الشيطان من اتخاذه ولياً من دون الله، وذلك باتباع أوامره، وترك أوامر الرحمن، فمن فعل ذلك فقد خسر خسراناً مبيحاً؛ لأن طاعة الله تفيد المنافع الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر، وطاعة الشيطان تفيد المنافع المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والآلام الغالبة، والجمع بينهما محال عقلاً، فمن رغب في ولايته فقد فاتته أشرف المطالب وأجلها بسبب أخس المطالب وأدونها، فهذا هو الخسار المطلق<sup>(٣)</sup>.

وختم بقوله ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُعَنِّيهِمْ﴾، فالشيطان يعدهم بأبائله بطول العمر، وبأنه لا قيامة ولا بعث ولا جزاء، فاجتهدوا في استيفاء اللذات الدنيوية، ويوهمهم الفقر

حتى لا ينفقوا في الخير<sup>(٤)</sup>.

ثم ينطق مُصَدِّرُ التغيرير بالأمانى وهو الشيطان بعد أن يحكم الله بين العباد، وقد أنطقه الله بذلك لإعلان الحق، وبأن لهم كسباً في اختيار الانصياع إلى دعوة الضلال، دون دعوة الحق، كما يروي لنا القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣. التزيين.

والتزيين الذي يعمد إليه الشيطان لإغواء البشر نوعان:

النوع الأول: تزيين القبيح.

فمن مكائد الشيطان لإغواء الإنسان أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته، ثم يُصَدِّرُ المصادر التي فيها عَطْبُهُ، ويتخلى عنه، ويُسَلِّمُه، ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة، والزنا، والقتل، وأنواع الفواحش، ويزينها، ويحسن له معودتها،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الأمل والأجل، ٧٢٤/٢، رقم ١٠٤٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/٢٢٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ١١/٢٢٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/٣٩٥، مفاتيح الغيب، الرازي ١١/٢٢٤، لباب التأويل، الخازن ١/٣٢٩.

## الشيطان

بعدي فتنة أضمر على الرجال من النساء<sup>(٣)</sup>.  
وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تَمَعَسُ مَنِيَّةً لها، ففضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: (إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَاتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ)<sup>(٤)</sup>.

فكل ما يقع من بني آدم من الكفر والقتل والعداوة والبغضاء، وانتشار الفواحش، والزنا، وتبرج النساء، وشرب الخمر، وعبادة الأصنام، واقتراف الكبائر، فذلك كله يزينه الشيطان للإنسان؛ ليصد عن سبيل الله، ويفسد الناس، ويجرهم معه إلى نار جهنم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفِتْنَةُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَذْكَامُ رِيحٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يتقي من شؤم المرأة ١٩٥٩/٥، رقم ٤٨٠٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب نذب من رأى امرأة فوقعت في نفسه، إلى أن يأتي امرأته أو جاريتها فيواقعها، ١٠٢١/٢، رقم ١٤٠٣.

تمعس أي: تدلك، والمنبئة: هي الجلد أول ما يوضع في الدباغ.

ويخفي له عواقبها، ثم في النهاية يفر منه، ويبتعد عنه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنُّ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأفقال: ٤٨]<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوى الحاجات بوجه عبوس، ولا تريهم بشراً ولا طلاقة، فيطمعوا فيك، ويتجرؤوا عليك، وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيحرمك صالح أدعيتهم، وميل قلوبهم إليك، ومحبتهم لك فيأمرك بسوء الخلق، ومنع البشر والطلاقة مع هؤلاء، ويحسن الخلق والبشر مع أولئك، ليفتح لك باب الشر، ويغلق عنك باب الخير»<sup>(٢)</sup>.

وقد توعد إبليس -لعنه الله- بإغواء بني آدم من خلال التزيين، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

ومن التزيين الذي وعد به إبليس النظر المسموم، وهو من أخطر الأسلحة التي يستخدمها إبليس، المؤدية إلى وأعظم فتنة النساء، قال صلى الله عليه وسلم: (ما تركت

(١) انظر: إغائة اللهفان، ابن القيم ١٠٨/١.

(٢) المصدر السابق ١٢٠/١.

[المائدة: ٩٠-٩١].

النوع الثاني: تقييح الحسن.

إن من باب تقييح الشيطان للحسن أن الشيطان يعمد إلى صرف الإنسان عن الأمور به من فرائض وواجبات، فإن فشل فيعمد إلى صرفه عن النوافل والمستحبات، وأهم ما يحرص على فعله هو تفويت الصلاة على المسلم.

وفي ذلك قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَارْقُدْ فَارْقُدْ، وَقَالَ مَرَّةً: يَضْرِبُ عَلَيْهِ بِكُلِّ عُقْدَةٍ لَيْلًا طَوِيلًا، قَالَ: وَإِذَا اسْتَبَقَظَ فَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدُ، وَأَصْبَحَ طَيِّبَ النَّفْسِ نَشِيطًا، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانًا<sup>(١)</sup>).

فالشيطان يحاول أن يصرف المؤمن عن الصلاة وهو نائم، فيزين له الراحة، ويلهي الإنسان المستيقظ عن الصلاة، بحجة الريح والتجارة، ويخوفه من الفقر، والخسارة.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:

[٢٦٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل الليل، ٥٢/٢، رقم ١١٤٢.

«فالشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر، ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل، وذلك لأن البخل على صفة مذمومة عند كل أحد، فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة، وهي التخويف من الفقر»<sup>(٢)</sup>.

ومن كيد عدو الله تعالى: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهاونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان.

وقد أخبرنا الله سبحانه عنه بهذا فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]<sup>(٣)</sup>.

٤. الإنساء.

إن الشيطان يعمل دومًا لإيقاع أعدائه، وتبعدهم عما أمرهم الله به، عله يُقَوِّتَ عليهم خيرًا أَرَادَهُ اللهُ لَهُمْ، أو يوقعهم في شرٍ كرهه الله لهم، فالنسيان المذموم يكون من الشيطان بالتسويف والتأجيل، وإلهاء العبد، وإشغاله عن الطاعة والعبادة.

قال تعالى: ﴿اسْتَعِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّتَكَ جِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ جِزِبَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ فَخُذُوا حَتْرًا﴾ [المجادلة: ١٩].

«وعلامة استحواذ الشيطان على العبد أن

(٢) لباب التأويل، الخازن ١/٢٠٤.

(٣) انظر: إغاثة اللفهان، ابن القيم ١/١١١.

إن الشیطان قد يتسلط على الإنسان، فيثير غضبه، وهذا من أوجه عداوته للإنسان.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ونزغ بينهم نزغاً: أغرى، والنزغ: الكلام الذي يغري بين الناس، ونزغ الشیطان: وسوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي، يعني: يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه (٤).

وقد وضح الإمام الطبري المراد بالنزغ فقال: «وإما يغضبك من الشیطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجاراتهم، فاستعد بالله، يقول: فاستجر بالله من نزغه» (٥).

وقد بينا عند حديثنا عن موقف الشیطان من نبي الله يوسف عليه السلام، كيف كان للشیطان دور في إثارة البغضاء بين الأخوة من خلال النزغ.

أما مس الشیطان للإنسان فنوعان: مس نفسي، ومس جسدي، أما المس النفسي فهو كما حدث مع نبي الله أيوب عليه السلام، حتى دعا ربه: ﴿إِنِّي مَسَى الشَّيْطَانُ نَصْبِي وَعَذَابِي﴾ [ص: ٤١].

وقد تحدثنا عن ذلك في موضعه، أما

يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل لبه عن التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها» (١).

وقد وقع كثير من الناس في هذه الخطوة الشيطانية، فأحبوا الدنيا وعملوا لها، وتركوا في المقابل العمل لآخرتهم، وقد بين الحق سبحانه أن هذا التسويف والإملاء هو من فعل الشیطان.

قال عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آتَدُوا عَلَنَ آتَدْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

«فذلك الشیطان يملهم ويقول لهم: في آجالكم فسحة، فتمتعوا برياستكم ثم في آخر الأمر تؤمنون» (٢)، ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ أي: ومد لهم الشیطان في الآمالي والآمال (٣).

فيجب على الإنسان أن يحذر كل الحذر من هذه الوسيلة التي قد تنطلي على الكثير من الناس، وأن يكون دائم التيقظ، ولا ينزلق وراء ملهيات الدنيا التي تؤدي إلى الخسران المبين.

٥. النزغ والمس.

(١) مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ٤٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٨٢/ ٥٦.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٥/ ٤٧.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٨/ ٤٥٤.

(٥) جامع البيان ١٣/ ٣٣٢.

وسائل الحفظ من الشيطان

أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الوسائل التي إن فعلها العبد حُفِظَ من الشيطان بإذن الله تعالى، وسنبين هذه الوسائل فيما يأتي:

**أولاً: اللجوء إلى الله بالاستعاذة والدعاء:**

إن من حكمة الله عز وجل دائماً ألا يبين لنا الداء إلا ومعه الدواء، حتى تقوم الحجة على العباد، فلا يأتيه آت يوم التناد فيقول: ما أتانا من نذير.

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه العزيز طرق النجاة من الشيطان، فالله عز وجل لا يؤخر لنا بيان الوسيلة للنجاة من وساوس الشيطان، ومن أهم هذه الوسائل للوقاية من الشيطان ووسوسته اللجوء إلى الله عز وجل بالاستعاذة والدعاء بأن يحصنه من هذا الخطر العظيم.

والاستعاذة هي اللجوء والاستجارة بالله عز وجل، كما قال الطبري: «أستجيرُ بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي»<sup>(٣)</sup>.

وقد ربط المولى عز وجل الاستعاذة بالوسواس الخناس، فأينما وجد الإنسان

(٣) جامع البيان ١/١١١.

المس الجسدي فهو ثابت في كتابه العزيز، فمن أوجه عداوة الشيطان للإنسان أن يعمد إلى التسلط على جسد الإنسان، وهو المس. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له؛ وذلك أنه يقوم قياماً منكراً<sup>(١)</sup>.

وقد فصل الرازي معنى التخبط وعلاقته بالمس، حيث يقول: «التخبط معناه: الضرب على غير استواء، ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر، ولا يهتدي فيه: إنه يخبطُ خبط عشواء، وتخبطه الشيطان: إذا مسه بخبل أو جنون؛ لأنه كالضرب على غير استواء، وتسمى إصابة الشيطان بالخبل والجنون خبطة، ويقال: به خبطة من جنون، والمس: الجنون، يقال: مُسَّ الرجل فهو ممسوس أي: به مَس، وأصله من المس باليد، كأن الشيطان يمس الإنسان فيجئه، ثم سمي الجنون مساً، كما أن الشيطان يتخبطه ويطؤه برجله فيخبله، فسمي الجنون خبطة، فالتخبط بالرجل والمس باليد»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧٠٨/١.

(٢) مفاتيح الغيب ٧/٧٤.

## الشيطان

وسوسته لجا إلى الله عز وجل بذكره والتحصن به، فالشيطان والرحمن لا يجتمعان في نفس الإنسان، كما بينت ذلك سورة الناس التي تسمى هي والفلق بالعمودتين.

وقد جاءت «مشملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويشطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ويخنس، أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

يقول السعدي: «ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطاً ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسّه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب تذكّر من أي باب أتى، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكّر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئاً

وقد جاءت «مشملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويشطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ويخنس، أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء الأمر بالاستعاذة واللجوء إلى الله عز وجل كلما نزع الشيطان الإنسان بوسوسته.

وقد جاء الأمر بالاستعاذة واللجوء إلى الله عز وجل كلما نزع الشيطان الإنسان بوسوسته.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وكذا في سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

(٢) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٢/ ٢٩٧.  
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ٤/ ١٢٤، رقم ٣٢٨٢.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٣٧.

والاستعاذة قبل القراءة لثفي وساوس  
الشیطان عند القراءة.

٢. عند الغضب.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ  
نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾  
[الأعراف: ٢٠٠].

٣. الاستعاذة عند تكاثر الوسواس على  
العبد.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا  
مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ  
مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٤. عند ولادة المولود.

يقول تعالى على لسان مريم بنت عمران  
رضي الله عنها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا  
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ثانياً: مقاومة أسلحة الشيطان:

إن الشيطان للإنسان عدو مبین، وقد بین  
لنا المولى عز وجل عداوته في العديد من  
الآيات القرآنية.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ  
فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ  
السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

لذلك وجب على الإنسان أن يجد  
ويجتهد في محاربتة، والتصدي لأسلحته،  
ومقاومتها، وذلك من خلال عدة أمور بينها  
لنا القرآن الكريم، وهي:

حسباً، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه»<sup>(١)</sup>.

فهذه الآيات جميعها جاءت بأسلوب  
الشرط «إما-إذا» والذي يفيد وجوب وقوع  
الجواب لوقوع الفعل، فمتى نزع الشيطان  
الإنسان ووسوس إليه، يجب على الإنسان  
أن يلجأ إلى الله عز وجل، ويتحصن به؛  
لتزول تلك الوسواس.

وجاءت آيات الذكر الحكيم لترشدنا إلى  
الاستمرار في اللجوء إلى الله عز وجل كلما  
أحس بالنزع.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾  
[الفلق: ١].

وقال أيضاً: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾  
[الناس: ١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا  
بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:  
٣٦].

فالتأمل لهذه الآيات -التي جاءت على  
صيغة المضارع- يجد أنها تفيد الاستمرارية  
في حدوث الفعل، وهو الاستعاذة،  
فالاستعاذة مطلوبة دوماً لطرد وساوس  
الشیطان، ومن خلال تتبع الآيات نجد أن  
الاستعاذة مشروعة في عدة مواطن منها:

١. عند تلاوة القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ  
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣١٣.

## الشيطان

الإنس فيتحدثون بها، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء<sup>(١)</sup>.

كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سأل أناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: (إنهم ليسوا بشيء)، فقالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تلك الكلمة من الحق يخطئها (يخطئها) الحني، فيقرؤها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة (الزجاجة) فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة)<sup>(٢)</sup>.

٢. المسارعة إلى فعل الخيرات، والأعمال الصالحة، واجتناب المحرمات، ومجاهدة النفس على ذلك.

إذا جاهد الإنسان نفسه، واستعان بالله على شيطانه، نصره الله عز وجل على شيطانه، وحماه من وساوسه.

قال المولى عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٣. عدم مخالطة رفقاء السوء، ومجالس المعصية.

(١) انظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٥٧٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٧٢.  
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق، ٦/ ٢٧٤٨، رقم ٧١٢٢.

١. ذكر الله عز وجل، والمداومة عليه.

فإذا أحس الإنسان في نفسه غفلة عن ذكر الله، فالشيطان يوسوس لابن آدم، فإذا ذكر الله عز وجل خنس وابتعد عنه. المبادرة إلى التوبة، فإذا وقع الإنسان في معصية أو ذنب تاب واستغفر، فهذا يغيظ الشيطان ويهدم عمله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فالشيطان يحرص أن يوقع الإنسان في المعصية، ومنها الكذب والإفك العظيم، وقد بين الحق سبحانه أن الشيطان ينجذب لهؤلاء الذين يتصفون بالإفك المبين والإثم الكبير، وأصحاب المعاصي؛ فيصبح لهم عوناً وسنداً.

يقول تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ۖ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۗ يَقُولُ لَسَمِعْتُ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

والأفَّاك: هو الكذاب صاحب الإثم، والأثيم: الفاجر، يعني به: كهنة الكفار يلقون بأذانهم إلى السمع من السماء لكلام الملائكة، فيسمعون كلمة الحق فيزيدون عليها مائة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من

وقال أيضًا: ﴿وَقِيَصْنَا لَهُمْ قِرْنَآةً فَرَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

وبعد استعراض الآيات التي تبين خطر رفيق السوء يجدر بنا التنبيه على هذا السلاح في زمن تتكاثر فيه الفتن، ويتشرب أعداء الله في كل مكان، ومحاولين جذب الشاب المؤمن؛ ليخرجوا به عن جادة الطريق، في مقابل ضعف المؤمنين وتشتت قواهم، لذلك وجب علينا أن نتخير لأبنائنا الرفيق الحسن.

#### ٤. ملازمة جماعة المؤمنين.

فإذا كان المسلم مع الجماعة المسلمة، كان أبعد من الشيطان، فإذا انفرد برأي أو موقف، كان فريسة لوساوس الشيطان.

كما جاء عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: (أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبَ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِأَمْرَةٍ إِلَّا كَانَ ثَلَاثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ

فمن الوسائل التي يلجأ إليها الشيطان رفقاء السوء، فهو سلاح ذو أهمية عظيمة، فالرفقاء لهم دور كبير في التأثير على الإنسان، وهذا ما يصوره لنا الحق سبحانه في مشهد واقع لا محالة، تدور أحداثه يوم المحشر بين عبد بئس وبين شيطان من شياطين الإنس - إن كان هذا العبد إنسيًا - أو الجن - إن كان هذا العبد جنياً -.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وهذه الآيات نزلت في عقبه بن أبي معيط، وفلاناً الذي أضله عن الذكر هو «أمية ابن خلف أو أخوه أبي بن خلف»<sup>(١)</sup>.

وبناء على ذلك فكل ظالم أطاع خليله في الكفر حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط، فهذا هو الدور لأخلاء السوء الذين يصدون عن الطريق المستقيم، بوسوسة من الشيطان، وفي النهاية يتخلى عنه وتكون نهايته الخذلان، كما بين لنا القرآن الكريم في العديد من المواضع.

قال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/٢٦٢، أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/١٢٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/٢٥.

## الشيطان

الشيطان من نفسه<sup>(٢)</sup>، فمن اتبع هدايات القرآن فقد وصل إلى الطريق الأكثر استقامة وسلامًا، ونعم بالأمن الإيماني، هذا في الدنيا، ولو كان وحده لكان كافيًا، لكنه تعالى يشرنا بما هو أعظم منه، وهو النعيم في الآخرة.

وقد جاء الوعد من الله عز وجل بذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِيتُكُمْ مَنِي هُدَىٰ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال أيضًا: ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وفي المقابل قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٣٨) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَد كُنْتُ بِصِيْرًا (١٣٩) قَالَ كَذٰلِكَ أَتٰكَ ؕ ءَايٰتُنَا فَنَسِيٰهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ نُنسِيٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

قال الشعراوي: «فكما أن الحق تبارك وتعالى جمع لعباده الصالحين السائرين على منهجه خيري الدنيا والآخرة، ففي المقابل جمع لأعدائه المعرضين عن منهجه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، لا ظلماً منه،

حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ فَذٰلِكَ الْمُؤْمِنُ»<sup>(١)</sup>.

فصلاح الرفقة المؤمنة، واجتناب قرناء السوء، من أهم الأسلحة كي يكون المسلم حمى لأهل الإيمان من برائن الأشرار، فالمرء بإخوانه يتقوى، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فنوصي هنا كل عبد مؤمن بالله، كافر بالشيطان أن لا ينأى بنفسه عن إخوانه، فيسيح في طرائق إخوان الشياطين، بل عليه أن يعتصب ويعتصم بهم، فالوحدة قوة والتفرق ضعف.

### ثالثاً: اتباع هدايات القرآن:

لقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ما فيه سعادة الإنسان في الدنيا، ونجاته في الآخرة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

فقد بين سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن القرآن فيه هداية البشرية لما فيه الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰهِ يٰٓأَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ الصّٰلِحٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيْرًا﴾ [الإسراء: ٩].

فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى الطريق الصواب، وهو الإيمان بالله عز وجل وتوحيده، فالقرآن نور من استضاء بنوره، فخرج من جهله، وطرده وساوس

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٩٢/١٧، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٤١٥١/٦، لطائف الإشارات، القشيري ٣٣٨/٢.

(١) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/٤٦٥، رقم ٢١٦٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٩٨/١، رقم ٢٥٤٦.

الشَّيْطَانِ ﴿ في العديد من الآيات التي تنهانا عن اتباع خطوات الشيطان.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقد تحدث أهل التفسير في معنى هذا التعبير القرآني، منهم الألوسي في تفسيره حيث قال: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿ أي: آثاره كما حكى عن الخليل - أو أعماله - كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه - أو خطاياها - كما نقل عن مجاهد - وحاصل المعنى: لا تعتقدوا به وتستنوا بستته، فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام» (٣).

وأما ابن عاشور فقد بين معنى خطوات الشيطان بقوله: «واتباع الخطوات استعارة تمثيلية، أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك علماً منه بأنه ما سار فيه السائر قبله إلا لأنه موصل للمطلوب، فشبّه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدي به وهو يظن مسلكه موصلاً، بالذي يتبع خطوات السائرين» (٤).

وفصل القول في معنى اتباع الخطوات،

فهو سبحانه مُتَزَّهٍ عن الظلم والجور، بل عَدْلًا وَقِسْطًا بما نَسُوا آيَاتِ اللَّهِ وانصرفوا عنها» (١).

فهذا بيان من الحق سبحانه لطريقين لا ثالث لهما: إما طريق هدى الله، أو طريق إبليس الذي أخرج أبوي البشر من الجنة حيث لا شقاء ولا تعب ولا ضلال.

ويبين ابن كثير هذا الشقاء المذكور في الآية فيقول: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴿ أي: خالف أمري وما أنزلت على رسولي، أَعْرَضَ عنه وأتأساه، وله معيشة ضنك في الدنيا؛ فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيقٌ حرجٌ لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍ، فلا يزال في ريبه يتردد، فهذا من ضنك المعيشة» (٢).

#### رابعاً: عدم اتباع خطوات الشيطان:

بعد أن بين لنا المولى عز وجل العداوة الكائنة بين الشيطان وادم وذريته، ووضح لنا الوسائل والطرق التي يتهجها الشيطان في غواية بني آدم وذريته، والانتقام منهم، نهانا بعد ذلك عن اتباع خطوات الشيطان ومكائده التي توقع العباد في حباله.

وقد جاء هذا التعبير القرآني ﴿خُطُوَاتِ

(٣) روح المعاني ١/٤٣٦.

(٤) التحرير والتنوير ٢/١٠٣.

(١) تفسير الشعراوي ١٤/٨٣٩١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٣٢٢.

## الشیطان

فيزين بذلك ما لا يحل له، فزجر الله تعالى عن ذلك، ثم بين العلة في هذا التحذير، وهو كونه عدوًا مبينًا أي: متظاهر بالعداوة<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسٌ كَثِيرٌ وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

٢. البخل والإسراف والرياء في الإنفاق.  
قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِخْرَانِ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

٣. الدعوة إلى الارتداد عن الدين والكفر بالله عز وجل.

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرُوا قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

فالكفر قد يصل إليه الإنسان وهو في غفلة من أمره، وقال تعالى في بيان خطوات الشيطان التي يزينها ليصل إلى مبتغاه: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وخلصته: أن إتباع الخطوات يكون بالاعتداء، والاعتداء بالشيطان يكون بإرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر الشريرة<sup>(١)</sup>.

إذن وبناء على ما سبق فالذي ينقاد لوساوس الشيطان وغوايته، والمنعرج في دروبه وأهوائه هو متبع له، كما أن خطوات الشيطان سلسلة مترابطة متداخلة، تبدأ بالوسوسة، فالتسويل، والتزيين بالتحسين تارة والتخويف تارة أخرى، ثم تتوالى الخطوات حتى يحصل الزلل، فيقع الإنسان في المعصية والعياذ بالله.

ومن خلال تتبع آيات الذكر الحكيم التي تنهى عن اتباع خطوات الشيطان، يمكننا استنباط الخطوات التي من يسلكها يكون قد سلك طريق الشيطان واتبع خطواته:

١. أكل الحرام.  
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

«كأنه قيل لمن أبيع له الأكل على الوصف المذكور: احذر أن تتعداه إلى ما يدعوك إليه الشيطان، وزجر المكلف بهذا الكلام عن تخطي الحلال إلى الشبه، كما زجره عن تخطيه إلى الحرام؛ لأن الشيطان إنما يلقي إلى المرء ما يجري مجرى الشبهة،

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٥/ ١٨٦.

(١) انظر: المصدر السابق.

يخاصم ويتكلم في دين الله بلا حجة ولا علم، -قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وأصحابه- فيعمل بما يوسوس ويسول له الشيطان، ويجوز أن يكون المقصود شياطين الإنس، وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، بوسوسة من إبليس لعنه الله، وقد يكون المراد إبليس وجنوده، وسمي بالمريد؛ لأنه تجرد من الخير للشر<sup>(٤)</sup>.

فكل ما ورد يعدُّ من خطوات الشيطان التي حذرنا ونهانا الله عز وجل من اتباعها، ويبيِّن لنا عاقبة السير وراء خطوات الشيطان في كل ما يوسوس به.

فعبادة الشمس من أصناف الكفر التي يزين لها الشيطان<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَّآدْبَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

فالشيطان يملئهم ويقول لهم: في أجالكم فسحة، فتمتعوا برياستكم، ثم في آخر الأمر تؤمنون<sup>(٢)</sup>.

٤. التحاكم إلى غير شرع الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَىٰ الْآيَاتِ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فكل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت<sup>(٣)</sup>، وكل من تحاكم للطاغوت فقد سار في خطوات الشيطان.

٥. الخوض والحديث والجدال في آيات

الله من غير بصيرة ولا هدى.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

فالمقصود أن هناك صنفًا من الناس

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٨١/٦.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٥٦/٢٨.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٨٤، تفسير المراغي ٧٥/٥.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ٤٤٩/٢، المحرر الوجيز، ابن عطية ١٠٧/٤، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٣/٢٠٢.

وهناك العديد من الآيات التي تثبت اللعنة على إبليس لعنه الله.

أما بقية شياطين الجن والإنس ومن تبعهم في الدنيا، فقد توعدهم الله بعواقب تصيبهم جرأ جرأهم، مع أن باب التوبة مفتوح لهم أجمعين إلى أن تخرج أرواحهم من أجسادهم، ومن تلك العواقب، الشقاء وخسران الدنيا، أما الخسران الذي يجنيه الشيطان وأتباعه فيقرره تعالى في غير آية.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

ويقول أيضًا: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ويفسر البغوي هذا الخسران في الدنيا بأنه الذل حيث يقول: «أي: هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

أما جزاؤه في الآخرة فالخلود في النار وبئس المصير.

يقول تعالى مخاطبًا إبليس: ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ يَتَّكِ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

«فهذا قسم من الله جل ثناؤه أقسم أنه من اتبع من بني آدم عدو الله إبليس وأطاعه وصدقه ظنه عليه، أن يملأ من جميعهم

(٣) معالم التنزيل، البغوي ٥٠/٥.

### عاقبة الشيطان في الدنيا والآخرة

لقد خصَّ الله تعالى إبليس أبا الشياطين بعقوبة دينوية تختلف عن بقية الشياطين، إذ هو أصل كل شر ومبدؤه، فقد ضرب الله عليه اللعنة والغضب مُدَّ رفض السجود لما خلق الله بيديه استكبارًا، إلى أن يلقي الله يوم القيامة مدحورًا فيدخل النار خالدًا فيها. وهذا ما وضحته كثير من الآيات القرآنية في سياق الحديث عن إبليس وآدم.

فكانت عقوبته في الدنيا اللعن والطرود من الجنة، وقيل: من المنزلة التي كان فيها في الملائكة الأعلى<sup>(١)</sup>.

وقد انضح ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِكْ يَوْمِ الْآزِينِ﴾ [الحجر: ٣٤-٣٥].

«قيل: إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض، فهو ملعون في السموات والأرض، فإن قلت: إن حرف «إلى» لانتهاه الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة؟ قلت: لا بل يزداد عذابًا إلى اللعنة التي عليه، كأنه قال تعالى: وإن عليك اللعنة فقط إلى يوم الدين، ثم تزداد معها بعد ذلك عذابًا دائمًا مستمرًا لا انقطاع له»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/١٠٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥٣٤.

(٢) لباب التأويل، الخازن ٣/٥٦.

موضوعات ذات صلة:

آدم عليه السلام، الاتباع، الاستكبار، الإنسان، الجن

يعني: من كفره بني آدم تَبَاعِ إبليس، ومن إبليس وذريته جهنم<sup>(١)</sup>.

وقد ورد هذا التحذير الرباني في غير موضع في كتابه تعالى، فمن ذلك: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣].

وقد نفر القرآن من اتباع الشيطان مبيّناً أن هذا الاتباع إنما يقود إلى خاتمة بئيسة.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْنَا آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

ويصور لنا الحق سبحانه مشهد دخول إبليس وأولياته في جهنم، وندمهم إذ لا ينفع الندم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَكَبَّكِرُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَاوُونَ ٩٤ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ٩٥ قَالُوا وَهَمُ فِيهَا يُخَنِّصُونَ ٩٦ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذْ سَأَلْتُم مَّرَبَّ الْعَالَمِينَ ٩٨ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَديقٍ حَمِيمٍ ١٠١ قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٩٤-١٠٢].

أي: طُرحوا في جهنم بعضهم على بعض، والغاؤون: هم الآلهة والعابدون، وجنود إبليس: كل من كان من أتباعه من ذريته كان أو من ذرية آدم<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان، الطبري ١٢/ ٣٤٥.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣/ ٣٢٨.